University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والعشرون – 25/ أغسطس (2017)

الهوية لدى المراهق: بين الأزمة والالتزام على ضوء أعمال (جيمس مارسيا)
James Marcia

د. سلاف مشري.

(جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي – الجزائر)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والعشرون – 25/ أغسطس (2017)

الهوية لدى المراهق: بين الأزمة والالتزام على ضوء أعمال (جيمس مارسيا)
James Marcia

الملخص:

يعتبر موضوع الهوية أحد أهم المداخل النفسية – الاجتماعية التي تم الاعتماد عليها لفهم سلوك المراهقين وتوجيهه الوجهة المرغوبة. فقد حدد (مارسيا) تكوين الهوية إجرائيا في أربع رتب وذلك بناء على بعدين أساسيين هما: وجود أو غياب أزمة الهوية، ومدى الالتزام بما تم اختياره من قيم ومعايير ومعتقدات وأهداف وأدوار اجتماعية. تعكس كل رتبة من رتب الهوية قدرة المراهق على التعامل مع المشكلات المرتبطة بأهدافه وأدواره، ومن ثم إمكانية الوصول إلى معنى ثابت لذاته ووجوده. وهذا من شأنه أن يساعد على تجنب مختلف المشكلات التي يشمل تأثيرها الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: المراهقة، الهوية، رتب الهوية، إريك إريكسون، جيمس مارسيا، الأزمة، الالتزام.

Abstract:

The theme of identity is considered like one of the main psycho-social inputs that has been invoked to understand the behavior of adolescents and directed it . Marcia is based on two fundamental aspects: the presence or absence of an identity crisis, and the level of commitment of what has been chosen among values and norms and beliefs, Goals and roles. Each degree of identity shows the adolescent's ability to cope with problems related to his / her educational and professional goals and roles ... This would help to avoid different psychological and social problems.

Keywords : Adolescence, Identity, Degree of Identity, Eric Erikson, James Marcia, Crisis, Commitment.

- **المقدمة:**

تلقى فئة الشباب اهتماما واسعا ومتزايدا لدى العديد من العلماء والباحثين في مجالات وتخصصات مختلفة منذ أمد ليس بالقصير، نظرا لكون هذه المرحلة من أهم المراحل النمائية وأكثرها حساسية وتأثيرا على حياة الفرد المستقبلية، كما تمثل فئة الشباب الطاقات التي يعول عليها للاضطلاع بمسؤوليات وتحديات على جميع الأصعدة، وفي نفس الوقت، فإن مختلف المشكلات التي تعانيها هذه الفئة ستنعكس سلبا على كل المجتمع أفرادا وجماعات.

ولذلك أصبح من الأمور الحتمية توفير الرعاية والاهتمام لفئة المراهقين والشباب إذا ما أريد تحقيق تلك الغايات وتجاوز تلك المشكلات، بالاستناد على فهم جيد لمتطلباتهم وحاجاتهم.

إن الشباب الذي يعاني مثلا أزمات تعليمية ومهنية، وما يلازم هذا من تنافس وتطلعات مادية وعدم وضوح في تكوين القيم والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية، في مجتمع لا يوفر له التفهم والإقدام والفرص المناسبة، فإن "النتيجة الحتمية التي سيعيشها هي القلق وعدم الإحساس بالرضا والاستقرار، والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى سلوك العنف أو مظاهر السلوك المضاد للمجتمع، وقد يتخذ مظهرا تخريبيا أو عصابات السرقة وغير ذلك من أشكال الإجرام، كما أن هذا الوضع النفسي قد يؤدي إلى النزعات السلبية والهروبية (أي النشاط اللا اجتماعي) مثل تعاطي المخدرات والإباحية الجنسية. (رياض، د.ت)

لكن التساؤل المطروح، هو أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية يعيشها الجميع، لكن: لماذا يجنح بعض الشباب للجريمة والبعض الآخر لا يجنح لها؟

لقد أصبح من المتفق عليه اليوم أن فئة المراهقين والشباب تمثل أكبر نسبة في فئات المجتمع، لكن أيضا، النسبة الأكبر من ذوي السلوك المنحرف والمجرمين هي من فئة المراهقين والشباب، فما تتميز به هذه المرحلة من كونها مرحلة تغير جذري سريع متلاحق كميا ونوعيا في ملامح الشخصية، يجعلها فترة يضطرب فيها اتزان الشخصية ويرتفع مستوى توترها وصراعاتها، في الوقت الذي يواجه فيه الفرد مطالب أساسية تتعلق باتخاذ قراراته بشأن أدواره الاجتماعية والمهنية والالتزام بما اختاره منها في سبيل تحديد واضح لهويته.

وتبعا لذلك، كان موضوع الهوية أحد المداخل التي تم الاعتماد عليها لفهم سلوك الشباب وتفسيره وتوجيهه الوجهة المرغوبة، ونتج عن ذلك أن تعددت الدراسات والبحوث في مختلف التخصصات والميادين؛ إلا أن أعمال ونظرية (إريك إريكسون)Erik Erikson حول النمو النفسي الاجتماعي لاقت قبولا كبيرا واعتبرت رائدة في الأوساط المهتمة بالدراسات في مجال البحث في موضوع الهوية، وإلى حد ما فإن كتابه "الهوية -الشباب –والأزمة" الذي نشره عام 1968 يعد إطارا مناسبا للتنظير حول تكوين الهوية وقياسها(عبد الرحمن، 1998a، 15) وذلك لما قدمه من كم هائل من المعارف حول المظاهر المختلفة لتشكل الهوية، والتي كانت نقطة الانطلاق للأعمال ونظريات عديدة من بعده، منها نموذج James Marcia في رتب الهوية.

1- مفهوم الهوية:

يعرف مفهوم الهوية اهتماما متزايدا من قبل العلماء في مختلف المجالات، مما جعله يتصدر اليوم الموضوعات الرئيسية في علم النفس وعلم الاجتماع والعلم الجنائي، والأدب والأنثروبولوجيا الثقافية، والسياسة والصحافة.. إلا أنه عرف تطورا نوعيا في مجال علم النفس، خاصة نتيجة أعمال (إريك إريكسون) Erikson، حيث كان له السبق في دراسة الهوية بمنهج متعدد المرجعيات، وأوضح

آليات تشكيل الهوية في مراحل حياة الإنسان والأزمة الناجمة عنها في مرحلة المراهقة، ونجم عن أعماله اتفاق على أن أهم المشكلات التي يمر بها المراهق هي أزمة الهوية.

وعليه، تناول (إريكسون) نمو هوية الأنا وتكون الشخصية على نسق يجعل نموها يسير حسب مخطط نمو، حيث تنمو مكوناتها في تتابع ومراحل من الطفولة إلى الشيخوخة لتكون في النهاية الشخصية ككل. وبالتالي، يرى أن الفرد ينمو إلى المرحلة التالية بمجرد أن يكون مستعدا لذلك بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا. (عبد المعطي، 2004، 22)

ومهما يكن من أمر، فإن الشوط الكبير الذي قطعه مفهوم الهوية من الفكر الفلسفي القديم إلى اليوم يبين أنه مفهوم ليس من السهل تقديم تعريف بسيط له، وأن لها عدة استخدامات في مجالات مختلفة، وأنه رغم بعض التقارب في هذه الاستخدامات في بعض الأحيان، إلا أن الملاحظ عموما أنه لا يوجد اتفاق تام بين الباحثين المعاصرين على استخدام مفهوم الهوية. (علي، 2005)

فالهُويّة لفظ مشتق من أصل لاتيني، يستدل به في الفلسفة على "كون الشيء هو نفسه على نحو يجعله مباينا لما يمكن أن يكون عليه شيء آخر"، أو "حالة استقلال الذات والانتماء إلى الشيء، وهي أيضا حالة الشيء كونه متميزا". (عيد، د.ت، 17، حمود والشماس، 2011)

ويبدو أن مفهوم الهوية كمصطلح نفسي يجانب هذا المعنى بشكل عام لذلك يرى أبو حلاوة (2010) أن هناك طريقة يمكن أن تختصر تعريف مصطلح الهوية، تتمثل في التأكيد على أن هوية المرء تتحدد من خلال إجابته عن سؤال رئيسي مفاده: "من أنا؟".

والحقيقة أنه نفس المعنى الذي أشار إليه (إريكسون) في تحديد المعنى الإجرائي لـ"هوية الأنا"، حيث تستند الكثير من الأبحاث والدراسات على نظرية (إريكسون) في هذا الإطار. ويرى (إريكسون) أن هوية الأنا هي "محاولة المراهق لتحديد معنى لوجوده، من خلال الإجابة على تساؤلات ترتبط بأهدافه وأدواره في الحياة، مثل: "من أنا؟، "وما دوري في هذه الحياة؟"، "وإلى أين أتجه؟". (الغامدي، 1428ه، 10)

ويمكن توضيح الأبعاد التي يرتكز عليها (إريكسون) في تحديد مفهوم هوية الأنا كما يلي:

- **الفردية**: وتعني الإدراك الواعي بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقلة واضحة.
- **التكامل وتوفيق المتناقضات**: أي الإحساس بالتكامل الداخلي واللا انقسامية.
- **التماثل والاستمرارية**: أي الإحساس بالتماثل الداخلي والاستمرارية بين ما هو ماض وما يتوقع أن يكون في المستقبل، والشعور بأن حياة الفرد ملائمة له وأنه يسير في اتجاه ذي معنى.
- **التماسك الاجتماعي**: وهو الإحساس الداخلي بالتمسك بالمثاليات والقيم التي يعتنقها بعض الناس والشعور بالمساندة الاجتماعية. (عبد الرحمن، 1998a، 14)

ومن خلال تعريف (إريكسون) لهوية الأنا، فإنه يمكن النظر للهوية على أنها مجموع سمات الفرد المميزة والدائمة التي تميزه بوصفه كائنا فريدا. وقد تنطوي هذه السمات مثلا على بعض البيانات الشخصية: كالاسم وتاريخ ومكان الميلاد، الجنس، لون العينين، الوزن، .... (رضوان، 2010، 93)

وأهم هذه السمات المحددة لهوية الفرد هي ثابتة ومستمرة معه مدى الحياة، بل إن عدم الوعي بها قد يكون مؤشرا خطيرا للاضطراب النفسي.

وما تجدر ملاحظته كذلك من هذا العرض حول ما قدم لتعريف ووصف هوية الأنا من خلال بعض وجهات النظر المختلفة؛ هو أهمية المعارف التي يحملها الفرد حول ذاته في شعوره بهويته، هذا

من جانب، ومن جانب آخر لمساعدته على تحديد وضعيته في العالم المحيط به، إذ يبدو أنه لا يكتمل الشعور بالهوية دون معرفة بالذات وبعلاقتها مع الآخرين وموقعها في العالم.

2- مفهوم أزمة الهوية:

يرى (إريكسون) أن مرحلة المراهقة وبدايات الشباب ترتبط بتغيرات فسيولوجية ونفسية مختلفة، لها أهميتها في نمو الفرد النفسي الاجتماعي وتشكيل هوية الأنا خلال مراحل دورة الحياة. ففي هذه المرحلة لم يعد الفرد طفلا ولم يصبح راشدا، وفيها يواجه المراهق مطالب اجتماعية وتغيرات أساسية في الدور لمواجهة تحديات الرشد. (جابر، 1990، 176)

ويعتقد (إريكسون) بأن بدايات تشكيل هوية الأنا من الممكن أن توجد حتى لدى الطفل وإن كان بطريقة مختلفة، إلا أنه في بداية المراهقة يكون الفرد بناء على مستوى النمو الاجتماعي والمعرفي الذي حققه قادرا على تطوير تصور عن نفسه، والالتزام بشكل ثابت على أدواره في سن الرشد. (رضوان، 2010، 120)

وبالتالي، ففي نمو الأنا والشخصية؛ يتتابع نمو مكوناتها البيولوجية والاجتماعية خلال ثمان مراحل وكل مرحلة تعتبر بمثابة نقطة تحول تتضمن ما أطلق عليه (إريكسون) اسم "أزمة نفسية اجتماعية"، تعبر عن حاجة نمو، على الفرد أن يواجهها، ليكتسب خبرة مهمة تساعده على مواجهة الأزمة التالية، التي يفترض أنه سيكتسب خلالها خبرة جديدة أخرى.

والأزمة بهذا المعنى ليست مشكلة مستعصية الحل، ولكنها نقطة تحول أقرب إلى مفهوم الفترات الحرجة، أي أنها مصدر نشوء قوة الفرد وتكامله، كما أنها مصدر لسوء توافقه، وتنشأ عن النضج الفسيولوجي وعن المطالب الاجتماعية التي على الفرد أن يستجيب لها في تلك المرحلة. ويعبر عن الأزمة اتجاهان: أحدهما يتضمن خاصية مرغوبة، والآخر يتضمن خطرا يؤدي إلى مشكلات إذا سار النمو في ذلك الاتجاه. (أحمد، 2003، كفافي، 2009، 87)

وبالتالي تمثل كل أزمة تحد للأنا يكافح لتجاوزه وحله، ومع كل حل لهذه التحديات يكتسب الأنا فاعلية أو قوة جديدة، تجعل منه بناء أكثرا تطورا ونضجا وقدرة على تحقيق المتطلبات الاجتماعية في المرحلة الجديدة، تتضمن الفاعلية الجديدة والفاعليات السابقة بعد إعادة تشكيلها، درجة أعمق من الاضطراب في حالة الحل السلبي للأزمة في أي مرحلة، حيث تؤدي إلى سيطرة قوى الأنا السلبية المضادة للحلول الإيجابية.

تتمثل مراحل النمو النفسي الاجتماعي وتشكل الهوية عند (إريكسون) بما تتضمنه من أزمات وما يقابلها من فاعليات فيما يلخصه الجدول التالي:

جدول (1): يوضح مراحل النمو النفسي الاجتماعي وتشكل الهوية عند (إريكسون)

العمر	أزمة النمو	فاعلية الأنا المكتسبة
السنة الأولى	الثقة مقابل الشك	الأمل
السنة الثانية	الاستقلال مقابل الخجل	الإرادة
الطفولة المبكرة	المبادرة مقابل الشعور بالذنب	الغائية
الطفولة المتوسطة	المثابرة مقابل الشعور بالنقص	الكفاية
المراهقة	هوية الأنا مقابل اضطراب الدور	التفاني

الشباب	الألفة مقابل العزلة	الحب
أواسط العمر	الإنتاجية مقابل الركود	الاهتمام
أواخر العمر	التكامل مقابل اليأس	الحكمة

(الغامدي، 1421هـ، 192)

يتضح من الجدول أعلاه، أن أزمة النمو في مرحلة المراهقة هي أزمة هوية الأنا مقابل اضطراب الدور، ومع تحقيق الهوية يكتسب الأنا فاعلية التفاني، والتي تعني قدرة المراهق على تحديد معنى وجوده وأهدافه في الحياة ووضوح خططه لتحقيق هذه الأهداف. كما يشير إلى قدرته على المحافظة على ولاءاته، وإدراك القيم الاجتماعية والتمسك بها، ويتوقف ذلك على ما يقوم به المراهق من استكشاف للبدائل والخيارات في المجالات الأيديولوجية والاجتماعية، وما يحققه من التزام. (الغامدي،2010a، 07، عبد الرحمن،1998b، 395)

وعلى هذا الأساس، يرى (إريكسون) أن أزمة الهوية هي التي تخول للمراهق والشاب أن يبدأ في اعتبار نفسه راشدا وتحديد الاتجاه لانتهاج سلوك الراشد، فأزمات الهوية ليست عبارة عن صراعات نفسية داخلية كالعصاب، وإنما غالبا ما تترافق مع خبرات فشل وخجل واضحين. (رضوان، 2010، 125؛ الشيخ وعطا الله، 2009)

وعليه، فأزمة الهوية هي أوقات خلال مرحلة المراهقة يبدو فيها الفرد منهمكا بفاعلية في الاختيار بين البدائل فيما يتعلق بالمجال المهني والمعتقدات الايديولوجية المرتبطة بالسياسة والدين. (الشيخ وعطا الله، 2009)

وبالتالي، أكد (إريكسون) من خلال نظريته أن مرحلة المراهقة وبداية الشباب هي المرحلة التي تتشكل فيها هوية الأنا لدى الفرد، وأن التوصل إلى تشكل الهوية يمر بحالة أزمة تتمحور حول ضرورة تحديده وصياغته للأدوار المتوقعة منه من طرف المجتمع.

ويرتبط ظهور الأزمة بدرجة من القلق والاضطراب المرتبط بمحاولة المراهق تحديد معنى وجوده في الحياة من خلال محاولة اكتشاف ما يناسبه من الأهداف والأدوار والعلاقات الاجتماعية ذات المعنى أو القيمة بالنسبة له لتلبية مطالب الرشد.

وبالتالي، فمشكلة المراهق الأساسية في هذه المرحلة هي تكوين الإحساس بالهوية، أي تأكيد من هو وما دوره في المجتمع، وما قدراته وامكاناته، وكيف يمكن استغلالها، وتتوقف على ما يتيحه المجتمع للمراهق من دعم، يشمل توفير الأدوار المناسبة والسماح بفترة محددة لتجريبها واختبارها. حيث يرى (إريكسون) أن المجتمع يضع جدولا زمنيا لاستكمال الهوية، غير أنه كثيرا ما لا يمكن الحديث عن هوية قائمة في نهاية المراهقة، فقد يبقى بعض الأفراد يجربون حائرين حول مستقبلهم حتى العقد الثالث أو حتى الرابع من الحياة. (رضوان، 2010، 127)

ومن خلال هذا الصراع بين المجتمع –لوضع جدول زمني- والمراهق لتكوين التزامات محددة تنبثق هوية المراهق وفقا للطرق التي ينتهجها إزاء هذه المطالب وضغوط البيئة، أيقاوم أم ينهار.

ويؤمن (إريكسون) بأن الشعور بالهوية عملية شاقة تواجه المراهق، وأن السعي إلى تكوين هوية واضحة يتطلب حسم قضايا متعددة حسما يمكنه من تحقيق الإحساس بالتفرد والوحدة والتآلف الداخلي والاستمرارية والتماثل والاستمرارية.

فالمراهق في سبيل تحقيق هويته عليه أن يحدث تكاملا بين:

1- ما اكتسبه في الماضي من توحد مع قيم وأفراد وجماعات معينة.

2- النظام القيمي الراهن.

3- أهدافه وطموحاته وتطلعاته للمستقبل.

ولا يتم إحداث هذا التكامل غالبا إلا بعد فترة من التساؤل والشك وإعادة التقييم والتجريب. (إسماعيل، 1989، 180)

وفي هذا السياق، يترجم الشعور بالهوية سلوكيا من خلال عملية ديناميكية يتمكن المراهق في إطارها من إيجاد إجابات دقيقة لعدد من الأسئلة التي يجابهها بشكل ملح في هذه المرحلة، أبرزها:

- من أنا، ومن أكون بالنسبة لهذا المجتمع الذي أعيش فيه؟
- ما المهنة أو الوظيفة التي أرغب أن أحصل عليها بعد أن أكبر وأنضج؟
- ما القيم والمعتقدات التي تنظم وتقود مسيرتي؟
- ما النمط العام للحياة الذي أفضله على غيره؟
- ما طبيعة الجماعة التي أفضل أن أنتمي إليها وأتعامل معها؟ (الشيخ وعطا الله، 2009)

ومع حقيقة أن تكوين الإحساس بالهوية ليس سهل التحقيق كما يبدو، إلا أن له قيمة كبرى في الحياة النفسية للمراهق، وله دور كبير في تحقيق تكيفه في المجتمع.

(كفافي، 1990، 90)

بالنظر إلى الطبيعة الدينامية والمتغيرة للهوية، وإلى المراحل التي تمر بها عملية تشكلها وظهور الأزمة، يبدو من الواضح أن هناك عوامل فارقة تؤدي إلى عدد من الاختلافات بين المراهقين، فتجعل بعضهم ينجحون في تحقيق هويتهم ولو بعد حين، في حين يفشل البعض الآخر في ذلك.

ويذهب اسماعيل (1989) في نفس المنحى ويقدم تصورا لثلاثة أنواع من العوامل، قد يكون لها تأثير على تشكل هوية الأنا لدى الأفراد، وهي:

- عوامل تتصل بالتكوين الماضي لشخصية الفرد.
- عوامل تتصل بنظرة الفرد إلى المستقبل: طموحاته، وآماله وأهدافه وتصوراته لما يتوقعه منه المجتمع، وخاصة الجماعة المرجعية.
- وعوامل تتصل بالحاضر: القيم والمعايير والأوضاع السائدة في الثقافة التي يعيش فيها ولدى الجماعات التي ينتمي إليها.

وعلى هذا الأساس، يربط Boul Gudiman بين أزمة الهوية وبين فقدان المراهق للقيمة الاجتماعية من خلال دور اجتماعي ويعبر عن ذلك صراحة في قوله: إن أزمة الهوية ما هي إلا إحساس بالضياع في مجتمع لا يساعد المراهق في فهم ذاته، ولا يوفر له فرصا يمكن أن تعينه في الإحساس بقيمته الاجتماعية، والمجتمع الحديث لا يحرم الشاب من القدوة والمثل فحسب وإنما يعطلهم عن القيام بدور له معنى في الحياة. (مرسي، 2002، 57)

وبناء عليه، فالخطر الذي يهدد المراهق في هذه المرحلة هو تشتت الهوية وتميع أو غموض الدور، أي عجز الشاب عن اختيار عمل أو مهنة أو عجزه عن مواصلة التعليم بالإضافة إلى ما قد يعانيه من صراعات، وعدم وضوح هدف محدد من الحياة، وما يصاحب ذلك من أحاسيس العجز

والاغتراب واهتزاز في كل مفاهيمه السابقة عن تصوره لذاته، والوقوع في الهامشية.(أبو غزالة، 2007a، الإمارة وعلي، 2008)

وفي هذا الإطار يرى (إريكسون) أن الفرد يمكن أن يمر بثلاث مستويات لأزمة الهوية:

1- أزمة هوية طفيفة: حيث يمر بها كل فرد، وتعرف على أنها مشاعر عدم اليقين والاستغراب التي يمر بها الفرد في الفترات الانتقالية التي تتخلل كل مرحلة من المراحل والوظيفة التوليفية للأنا في هذه الحالة هي دائما موجودة لتجاوز مثل هذا الشعور.

2- أزمة هوية ثقيلة: تحصل عندما يتم إنهاك عملية التمثل اللاشعوري للخبرات من خلال الكثير من الصعوبات دفعة واحدة، أو من خلال تحولات متقطعة في وضع الحياة.

3- أزمة هوية قاسية: وتحصل بشكل خاص كلما كانت الأحداث التي تصيب الفرد أقل توقعا وتربك الحضور الكلي للحياة.

4- أزمة الهوية الوخيمة: وتحصل عندما تتفاقم أزمة برنامج النمو النفسي الاجتماعي بشكل إضافي من خلال حدث غير متوقع.

5- أزمة هوية مزمنة: يمكن أن تحدث عند الناس الذين يعانون من وضعهم الاجتماعي المتدني جدا، ويمتلكون الشعور بعدم انتمائهم بالفعل وأنهم مستبعدون أو مرفوضون. (رضوان، 2010، 125)

وعلى العموم، يرى (إريكسون) أنه في خضم التفاعل مع الأدوار المعروضة في المجتمع، فإن كل المراهقين يتوقع أن يختبروا بعضا من هذه الأزمة، لأن أزمة الهوية هي مرحلة نمائية، تناضل الأنا خلالها لتجاوز الاضطراب، الذي يأخذ من وجهة نظر (إريكسون) شكلين أساسيين هما:

أ- اضطراب الدور: ويشير إلى فشل المراهق في تحقيق التكامل، وتحديد وتبني أدوار وأهداف ذات معنى أو قيمة شخصية واجتماعية، ويرتبط ذلك بدرجة عالية من القلق ومشاعر عدم الكفاية، والسلوك الجامد المتعصب، وضعف القدرة على اتخاذ القرارات، وسوء العلاقات الاجتماعية، وضعف الالتزام بأدوار ثابتة.

ب- تبني هوية سالبة: يرتبط هذا النمط بدرجة أعلى من الإحساس بالتفكك الداخلي، إذ يدفع بالفرد إلى ممارسة أدوار غير مقبولة اجتماعيا، تؤدي إلى آثار أكثر سلبية على حياته بصفة عامة. كالجنوح والإدمان. (الغامدي، 2001، 226)

3- تشكل هوية الأنا ورتبها عند Marcia :

برزت أعمال (جيمس مارسيا) في ظل المساعي العديدة التي بذلت في إطار تطوير نظرية (إريكسون) والتي لقيت قبولا على نطاق واسع، حيث ركزت على إحدى مراحل النمو الهامة في دورة الحياة، وهي مرحلة تشكيل الهوية، المقابلة لمرحلة المراهقة وبداية الشباب.

في هذا الإطار، عمل (مارسيا) ورفاقه من خلال استخدامهم لمقابلات إكلينيكية مختلفة على تطوير مقياسه المعروف بالمقابلة شبه البنائية لقياس تشكل الهوية، وبنى على أساسه فيما بعد المقياس الموضوعي لرتب هوية الأنا، حيث توصل لتحديد إجرائي للهوية يعتمد على تصنيف مظاهر نموها في مرحلة المراهقة.

وتشمل هوية الأنا من وجهة نظره على مجالين هما:

1- مجال هوية الأنا الأيديولوجية: وترتبط بخيارات الفرد ذات الصبغة الأيديولوجية في عدد من المجالات الحيوية المرتبطة بحياته، كالدين والسياسة، والمهنة، أسلوب الفرد في الحياة.

2- هوية الأنا الاجتماعية (العلاقات الشخصية المتبادلة): وترتبط بخيارات الفرد في مجال الأنشطة والعلاقات الاجتماعية، كالصداقة، والدور الجنسي، وأسلوب الاستمتاع بالوقت والعلاقة بالجنس الآخر.

ووفق ما توقعه (إريكسون) من أن الهوية يمكن أن تأخذ شكل ترتيبي أو رتب، حدد (مارسيا) من خلال الدراسات المتتابعة تشكل الهوية إجرائيا من خلال أربع رتب للهوية في كل مجال من المجالين السابقين، وذلك بناء على بعدين أساسيين أوضحهما (إريكسون) كذلك في نظريته عن تكوين الهوية، هما:

1. **وجود أو غياب أزمة الهوية**، والمتمثلة في رحلة من البحث والاستكشاف والاختبار للخيارات والبدائل المتاحة، المرتبطة بمعتقدات الفرد وقيمه الإيديولوجية وأدواره وعلاقاته الاجتماعية.
2. **مدى الالتزام** بما تم اختياره من قيم ومعايير ومعتقدات وأهداف وأدوار اجتماعية.

تعكس كل رتبة من رتب الهوية التي حددها (مارسيا) قدرة الفرد على التعامل مع المشكلات المرتبطة بأهدافه وأدواره، ومن ثم إمكانية الوصول إلى معنى ثابت لذاته ووجوده.

وتتمثل رتب الهوية فيما يلي:

1- تحقيق الهوية: يعتبر تحقيق هذه الرتبة مؤشرا للنمو السوي، وتتحقق نتيجة لخبرة الفرد للأزمة من جانب، ممثلة في مروره برحلة من البحث لاختيار واكتشاف ما يناسبه من القيم والمعتقدات والأهداف والأدوار المتاحة، وانتقاء ما كان ذا معنى أو قيمة شخصية واجتماعية ثم التزامه الحقيقي بما تم اختياره من جانب آخر.

وعلى هذا الأساس، تؤكد نتائج البحوث الميدانية أن رتبة التحقيق ترتبط بكثير من السمات الشخصية الإيجابية، كتقدير الذات والتوافق النفسي والقدرة على مواجهة المشكلات المختلفة والمرونة والانفتاح على الأفكار الجديدة، ونضج العلاقات الاجتماعية، ونمو الأنا والنمو المعرفي والأخلاقي، وغيرها من جوانب النمو. (الغامدي، 2001، 196)

وذلك ما يؤكده (وترمان) Waterman كذلك، حيث يرى أن الفرد الذي يحقق هويته، ويجتاز بنجاح العملية الخاصة بالاستكشاف ويكتسب التزاما قويا وسويا، يرتبط بالإحساس بكينونته وينعكس ذلك على شعوره بتقديره لذاته، ويترتب على ذلك تجاوز مشاعر القلق والاكتئاب والاغتراب أو ما يسمى بالهوية السلبية.

وتتفق نتائج دراسة (لاركن) Larkin مع ذلك، حيث تشير إلى أن تحقيق الهوية هو المعنى الكامن وراء النجاح في الحياة، وأن الشخص المحقق لهويته هو شخص تجاوز مشاعر الخوف وتتسم معارفه بالعقلانية في تفسير الأمور، ويدرك أنه يمتلك معطيات التأثير في الأمور ويستطيع الدخول في تنظيمات اجتماعية وسياسية. (عبد المجيد والفرحاتي، 2004)

2- تعليق الهوية: أو تأجيل الهوية، يكون الفرد فيها في فترة الاستكشاف مع غموض تكون الالتزام. (عبد المعطي، 2004، 55)

وبالتالي فالفرد في هذه الرتبة هو في حالة أزمة، ويشهد نشاط بشكل كبير في البحث عن البدائل واختبارها، وهذا ما يدفعه إلى تغييرها من وقت إلى آخر للوصول إلى الالتزام بخيارات محددة والوصول إلى قرارات نهائية، ومن مظاهر ذلك مثلا تغيير مجال الدراسة أو المهنة أو الهوايات أو الأصدقاء، أو حتى الشكل الخارجي، مما يجعله في هذه الرتبة يعاني درجة عالية من القلق والتوتر والشعور بالذنب.

وما تجدر الإشارة إليه؛ أنه على الرغم من أن التعليق يعد محطة ضرورية قبل الوصول إلى التحقيق، إلا أن التوقف عندها لفترة طويلة عما هو متوقع يعد مؤشرا على الفشل في تحقيق الهوية ودليل على الاضطراب.

3- انغلاق الهوية: الفرد في هذه الرتبة لم يختبر أزمة، لكنه ملتزم بدرجة عالية بقيم ومعتقدات مرتبطة بأشخاص مهمين كالأسرة أو أحد الوالدين أو بأشخاص مهمين في محيطه، وبما يحددونه له من أدوار وأهداف.

ويرى الشيخ وعطا الله (2009) أن الأفراد في رتبة الانغلاق هم أفراد التزموا مهنيا ولهم أهدافهم الأيديولوجية، لكن هذه الأهداف اختيرت لهم بواسطة والديهم أو الآخرين، وهم يظهرون قليلا أو لا يظهرون صراعا واضحا.

ومع ذلك، فإنه وإن كان الصراع لديهم بدرجة ضعيفة نتيجة لإتباعهم للأسلوب المفرط من المسايرة لهذه القوى الخارجية مما يجعلهم يتلقون تقديرا ورضى و يعزز هذا الأسلوب لديهم إلا أنهم يفتقدون للتلقائية في المواقف الاجتماعية، إضافة إلى العديد من الاضطرابات النفسية الأخرى. (الغامدي، 2010a، 08)

4- تشتت الهوية: الفرد في هذه الرتبة لم يختبر حتى الآن أزمة هوية، ولا أي تعهد أو التزام للمعتقدات أو الأدوار، ولا توجد دلائل إلى نشاطه من أجل إيجاد سمة للهوية لديه. (حمود والشماس، 2011)

وقد يمارس الأفراد في هذه الرتبة ما شاءت الظروف والصدف لهم من أدوار، حيث يفضلون تأجيل أو تعطيل الاختيار بين أي من البدائل والاختيارات التي تتاح لهم، حيث يتسمون بضعف التوجيه والضبط الذاتي، والتمركز حول ذواتهم وضعف الاهتمام والمشاركة الاجتماعية كما يضيف الغامدي (2010a) أنهم يخبرون درجة عالية من القلق وسوء التوافق والشعور بعدم الكفاية، وهذا بدوره يدفع إلى جمود السلوك وعدم القدرة على اتخاذ القرارات السليمة، وإلى الكثير من الاضطرابات السلوكية الخطرة كالجنوح وتعاطي المخدرات والاضطرابات النفسية.

وفي نفس الإطار استخلص (جونسون) Jonsen صورة تشتت الهوية لدى الشباب من خلال بعض الاختبارات الشخصية، وتوصل من خلالها إلى أن خصائص هؤلاء الأفراد تبدو في أن لديهم خبرات سيئة عن أنفسهم، ويشعرون بالعجز نتيجة لعدم العناية بهم، ويشعرون بالنقص والاغتراب، ويتصفون بعدم الانتماء، ويشعرون بعدم الأمان، ولديهم إحساس منخفض بالذات، ويشعرون بالاكتئاب، مما يجعلهم يشعرون بالهامشية وأنه لا اعتبار لهم، ولا دور لهم في التأثير على النتائج. (عبد المجيد والفرحاتي، 2004)

وعلى هذا الأساس، ويرى (مارسيا) أن إنجاز وتعليق الهوية هما حلان سويان لأزمة الهوية، أما الحلول غير الصحية فتتمثل في تشتت وانغلاق الهوية. (الشيخ وعطا الله، 2009)

ويمكن تلخيص رتب هوية الأنا وفق نموذج (مارسيا) في الجدول التالي:

جدول رقم (2): يوضح رتب هوية الأنا وفق نموذج (مارسيا)

الالتزام	أزمة هوية الأنا		
		ظاهرة	غائبة
	ظاهرة	تحقيق هوية الأنا	إنغلاق هوية الأنا
	غائبة	تعليق هوية الأنا	تشتت هوية الأنا

وفي هذا الإطار، فقد أكدت نتائج دراسة Johnson & al (2003) التي هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين نمو الهوية واختلاف مستوياتها في مرحلة الرشد المبكر وشملت 259 مفحوص، وطبقت المقياس الموضوعي لرتب الهوية، تمايز رتب الهوية عن بعضها البعض.

ويشير Waterman and Goldman وكذلك Adams ومعاونيه أن رتب الهوية التي حددها (مارسيا) تتميز بكونها ذات طبيعة ديناميكية متغيرة، مما يعني إمكانية الوقوع في مرحلة انتقالية بين مرحلتين، حيث يمكن للفرد أن يقع في مرحلة انتقالية تغلب فيها احتمالية السير نحو الرتبة الأفضل في الظروف العادية، إلا أن النكوص إلى مراحل أقل نضجا يبقى قائما حيث يتحدد ذلك بطبيعة التفاعل بين السمات الشخصية والظروف الاجتماعية المحيطة. (الغامدي، 2001، 228)

وعلى هذا الأساس أصبح بالإمكان التعامل مع المسارات الأساسية للنمو، سواء بالثبات أو التغير في نمو الهوية (سواء بالتقدم أو الانحدار) إذ يشير (مارسيا) إلى أن ويشير إلى أن الرتب هي مراحل من مراحل التطور وليست نهاية حالات.

ويعرف الثبات أو التغير على النحو التالي:

أ- يعرف الثبات بأنه عدم التغير في هوية الأنا من عام إلى آخر.

ب- يعرف التقدم بأنه الترقي من تشتت الهوية إلى انغلاق أو تعليق الهوية، أو الانتقال من تعليق الهوية إلى إنجاز الهوية.

ج- يعرف الانحدار بأنه العودة بأي صورة من رتبة متقدمة إلى رتبة متأخرة كالانحدار من تعليق الهوية إلى انغلاق الهوية.

وبالتالي، يمكن أن نلاحظ بأن هناك مجموعتين غير ثابتتين يمكن أن يوجدا وهما:

1- العودة من التقدم إلى الانحدار.

2- أو من الانحدار إلى التقدم. (عبد الرحمن، 1998a، 40)

والحقيقة أن (مارسيا) و(إريكسون) من قبله، قد أشارا إلى أن الهوية باعتبارها عملية دينامية ومتغيرة وشعور شديد التعقيد، فإنها ذات تأثير متبادل مع جملة من العوامل والمصادر. فتحديد الهوية ليس مجرد عملية تصنيف في أنماط جاهزة، كما أنها ليست عماية نمو نمطية تسير بشكل آلي في مراحل معينة ثابتة، وإنما هي عملية ديناميكية تتوقف نتيجتها على شكل ومراحل التفاعل الذي تتدخل فيه عدة عوامل وكذلك نوع هذه العوامل ذاتها.

- **الخاتمة:**

بالنظر إلى الطبيعة الدينامية والمتغيرة للهوية، وإلى المراحل التي تمر بها عملية تشكلها وظهور الأزمة، يبدو من الواضح أن هناك عوامل فارقة تؤدي إلى عدد من الاختلافات بين المراهقين، فتجعل بعضهم ينجحون في تحقيق هويتهم ولو بعد حين، في حين يفشل البعض الآخر في ذلك.

إن النمو النفسي الاجتماعي هو محصلة تفاعل عوامل بيولوجية وعوامل اجتماعية بيئية وعوامل شخصية مرتبطة بالفرد، حيث أنه نتيجة لتفاعلها تحدث الأزمة وبها كذلك يتم حلها للوصول إلى النضج.

وعليه نؤكد على القول أنه لن يتسنى للمراهقين تحقيق هويتهم إلا بفهم هذه المرحلة العمرية بمتغيراتها، من خلال تظافر الجهود لمساعدتهم على تجاوز هذه المرحلة من أجل الانتقال بشكل آمن إلى المراحل التي تليها، سواء من طرف الأسرة أو المجتمع بمختلف هيئاته ومؤسساته.

- **المراجع:**

أبو حلاوة، محمد السعيد (2010). نموذج هوية الأنا لأندرو ماهوني: أبعاده وتطبيقاته في مجال رعاية الموهوبين. **ورقة عمل مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي لكلية التربية جامعة بنها: "اكتشاف ورعاية الموهوبين بين الواقع والمأمول"**. 14-15 يوليو 2010.

أبو غزالة، سميرة علي جعفر (2007). فعالية الإرشاد بالمعنى في تخفيف أزمة الهوية وتحسين المعنى الإيجابي للحياة لدى طلاب الجامعة. **المؤتمر السنوي 14، مركز الإرشاد النفسي**، جامعة عين شمس.

أحمد، سهير كامل (2003). **سيكولوجية الشخصية**. مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.

إسماعيل، محمد عماد الدين (1989). **الطفل من الحمل إلى الرشد. الجزء الثاني الصبي والمراهق**. الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.

الإمارة، أسعد شريف وعلي، وائل فاضل (2008).أزمة الهوية والاغتراب لدى بعض أفراد الجالية العراقية المقيمة في السويد. **مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك**. (3). 56-70.

جابر، جابر عبد الحميد (1990). **نظريات الشخصية، البناء- الديناميات- النمو- طرق البحث- التقويم**. القاهرة: دار النهضة العربية.

حمود، فريال والشماس، عيسى (2011). مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين، دراسة ميدانية في المدارس الثانوية العامة في مدينة دمشق. **مجلة جامعة دمشق**.27. 353-596.

رضوان، سامر جميل(2010). **البحث عن الهوية، الهوية وتشتتها في حياة إريك إريكسون وأعماله**. العين: دار الكتاب الجامعي.

رياض، عزيز أحمد (د.ت). **جماعات المراهقين: أضواء على نشاطها المضاد للمجتمع**. 105-109.

الشيخ، فضل المولى عبد الرضى وعطا الله، صلاح الدين فرح. (2009). أساليب مواجهة أزمة الهوية لدى طلبة الجامعات. **شؤون اجتماعية**. (102). السنة 26.

عبد الرحمن، محمد السيد (1998a). **مقياس موضوعي لرتب الهوية الأيديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر**. مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الرحمن، محمد السيد (1998b). **دراسات في الصحة النفسية "المهارات الاجتماعية، الاستقلال النفسي، الهوية"**. مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد المجيد، السيد محمد والفرحاتي، الفرحاتي السيد محمود (2004). الأفكار المختلة وظيفيا وحالة الهوية ووجهة الضبط لدى المهمشين من طلاب الجامعة. **المؤتمر السنوى الاول للمركز العربى للتعليم والتنمية: مستقبل التعليم الجامعى العربى**.مج2. 1424-1483.

علي، سعيد اسماعيل (2005). **الهوية والتعليم**. مصر: عالم الكتب.

عيد، محمد إبراهيم (د.ت). **الهوية والقلق والإبداع**. مصر: دار القاهرة.

الغامدي، حسين عبد الفتاح (1421 ه). تشكل هوية الأنا لدى الأحداث الجانحين. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب. 15(30). 183-246.

الغامدي، حسين عبد الفتاح (1428 ه). **المقياس الموضوعي لتشكل هوية الأنا** (نسخة مقننة على الذكور في سن المراهقة والشباب بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية). السعودية: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية.

الغامدي، حسين عبد الفتاح (2001). علاقة تشكل هوية الأنا بنمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الذكور في مرحلة المراهقة والشباب بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية. المجلة المصرية للدراسات النفسية. (29). 221- 255.

الغامدي، حسين عبد الفتاح (2010a). أثر البناء النفسي للأنا من وجهة النظر التحليلية المعاصرة (لأيريك إريكسون) على تعاطي المخدرات (أنموذج تحليلي لديناميكية تعاطي المخدرات). **بحث مقدم في الندوة العلمية لحماية الشباب من تعاطي المخدرات المنعقد تحت رعاية جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بجامعة الجزائر**. 21-23 جوان 2010.

كفافي، علاء الدين(2009). **علم النفس الإرتقائي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة**. عمان: دار الفكر.

مرسي، أبو بكر مرسي (2002). **أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي**. مصر: مكتبة النهضة المصرية.